إحسان
تزكية النفس.. وتصحيح المسار

التَّصَوُّف بيْن الدين والسِّياسة

كَيْف تحوَّل التَّصَوُّف إلى أدَاة نفوذ غربِية؟

محمد بن عبد اللَّه المَقْدي

فصول

التَّصَوّف بيْن الدين والسَياسة

كَيْف تحول التَّصَوّف إلى أدَاة نفوذ غربِية؟

مُحَمّد بْن عبد اللَّه المقْدي

توطئة

في زوايا السياسة الغربية، لا يُتخذ القرار دومًا بصفاء عقلانيّ، بل كثيراً ما تمليه غايات الهيمنة، وتُنسَج خيوطه بخيوط المصالح لا المبادئ. وحين يتعلّق الأمر بالإسلام، فإن أعين مراكز القرار لا تتجه إلى جوهر الدين، بل إلى أي صورة يمكن ترويضها، أو حرفها، أو احتواؤها.

لقد رأت تلك المراكز في التصوف ـ بصوره المنعزلة عن الشريعة والممانعة العقدية ـ فرصة سانحة لصناعة "إسلام بلا شوكة"، و"تديّن منزوع الأنياب." ومن هنا تسارعت مراكز الأبحاث الغربية، تسبقها السفارات، وتلحقها المؤسسات والمنح، لدعم هذا التيار الذي يقدّم الدين في هيئة نُسُكٍ صامت، لا يهدد مشروعها، ولا يُنكر منكرها.

كأنهم وجدوا في بعض أشكال التصوف مركبًا يسير على مهلٍ، لا يرفع رأسه، ولا يرفع صوته، يُطرب ولا يُفكّر، يُسكّن ولا يُغيّر، فانطلقوا يدعمونه كما يُروى نبات الزينة في بستان لا يُؤكل منه. وهكذا صار التصوف ـ في نظر بعض صناع القرار ـ أشبه بـ**"النسخة الآمنة من الإسلام"، نسخة مُعقّمة من مفردات الولاء والبراء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، تشبه الإسلام من بعيد، ولكنها تخذل من قريب، كمن يرى فارسًا على فرسٍ، يظنه مقاتلًا شجاعًا، فإذا اقترب منه وجده تمثالًا من خشب لا حراك فيه.

مراكز غربية داعمة للتصوف:

- RAND Corporation مؤسسة بحثية أمريكية معروفة بتقاريرها الاستراتيجية لصالح الحكومة الأمريكية.
- أبرز تقرير Building Moderate Muslim Networks (2007): روجت فيه لدعم الصوفية كجزء من "الإسلام المعتدل https://www.rand.org."
- United States Institute of Peace (USIP) المعهد الأمريكي للسلام، يمول مشاريع تهدف إلى "تخفيف التطرف"، ودعم فعاليات صوفية في أفريقيا وآسيا بدعوى المصالحة والسلام https://www.usip.org .

- Tony Blair Institute for Global Change مؤسسة رئيس الوزراء البريطاني الأسبق، تدعو لنشر "الإسلام المتسامح"، وتروّج لقيادات صوفية كممثلين عن الإسلام في برامج "القيادة الدينية https://institute.global."
- UNESCO – Intangible Cultural Heritage Section قسم التراث اللامادي في اليونسكو يدعم التصوف كموروث ثقافي، وأدرج إنشاد الدراويش، والزيارات الصوفية، والموسيقى الروحية ضمن التراث العالمي . https://ich.unesco.org
- Georgetown University – Prince Alwaleed bin Talal Center for Muslim-Christian Understanding مركز دراسات حوار الأديان بجامعة جورجتاون، برعاية سعودية، يستضيف شخصيات صوفية ويشجع الخطاب الصوفي كوسيلة للحوار الديني https://acmcu.georgetown.edu .
- The Fetzer Institute مؤسسة أمريكية غير ربحية تروج للروحانية والتصوف عبر الفن والفكر، تدعم برامج صوفية وإنشاد روحي، خاصة في أمريكا وأفريقيا https://fetzer.org .
- World Economic Forum – Global Shapers and Spirituality Circles من خلال فعالياته في دافوس وغيرها، يدعو المتصوفة للمشاركة في لجان "الروحانية والسلام https://www.weforum.org."
- The Gulen Movement (Hizmet) حركة تركية صوفية الطابع، مدعومة سابقًا من الولايات المتحدة وأوروبا، وتمتلك مراكز تعليمية وصوفية في أمريكا وأوروبا https://hizmet.net .
- Aga Khan Development Network (AKDN) شبكة تنموية تابعة للطائفة الإسماعيلية، ذات طابع صوفي شيعي، تموّل مشاريع ثقافية وفنية صوفية عبر فروعها في الغرب https://www.akdn.org .
- The Temple of Understanding مؤسسة أمريكية عالمية تعقد مؤتمرات دينية يشارك فيها متصوفة كممثلين عن الإسلام، وتميل إلى تقديم "الصوفية" كنموذج للإسلام العالمي والروحاني .https://templeofunderstanding.org

نماذج من دعم اليونسكو للتصوف

اليونسكو أصدرت ودعمت عدة أنشطة وتقارير ومشاريع لصالح التراث الصوفي، خاصة من زاوية التراث الثقافي واللامادي، وليس بالضرورة من زاوية دينية مباشرة.

لكن هذا الدعم يُستثمر من قبل المتصوفة لإبراز التصوف كعنصر أصيل ومرغوب عالميًا.

أبرز صور دعم اليونسكو للتصوف:

إدراج ممارسات صوفية ضمن التراث الإنساني اللامادي:

الطريقة المولوية (دراويش المولوية) ورقص الدراويش في تركيا (تم تسجيلها عام 2008).

المديح النبوي الصوفي في السودان.

موسم الزيارات الصوفية مثل موسم الشيخ عبد القادر الجيلاني أو موسم سيدي عبد السلام بن مشيش في المغرب.

الإنشاد الصوفي في عدة دول عربية مثل مصر وسوريا والمغرب والجزائر.

دعم الفعاليات الصوفية بوصفها إرثًا ثقافيًا:

إقامة أو رعاية مهرجانات صوفية دولية مثل:

- مهرجان فاس للموسيقى الروحية (المغرب).
- مهرجان الموسيقى الصوفية في القيروان وتونس العاصمة.
- أنشطة في الهند والسنغال والبوسنة تحت مظلة "الحوار بين الثقافات."

ترويج الخطاب الصوفي كوسيلة لحوار الحضارات:

تعتبر اليونسكو أن التصوف يمثل جسرًا بين الأديان والثقافات، بسبب لغته الروحية وميله للسلام.

تم تنظيم مؤتمرات أكاديمية عن ابن عربي، الرومي، عبد القادر الجزائري، والحلاج وغيرهم، بوصفهم رموزًا للتسامح العالمي.

ملاحظات تحليلية

اليونسكو لا تتبنى التصوف كعقيدة، لكنها تروّج له كتراث إنساني مسالم، ما يفتح المجال أمام استخدام هذا الغطاء لترويج أفكار صوفية دينية أيضًا.

هذه الرعاية الثقافية يُستثمرها المتصوفة المعاصرون سياسيًا للقول إن العالم يحتفي بتصوفهم، ولإقصاء غيرهم من التيارات الإسلامية.

تقرير مؤسسة راند2007 (RAND Corporation)

عنوان التقرير "Building Moderate Muslim Networks" (بناء شبكات إسلامية معتدلة).

الهدف الرئيسي: تقديم استراتيجية أمريكية لدعم التيارات الإسلامية "المعتدلة" في العالم الإسلامي لمواجهة ما تعتبره الولايات المتحدة "الإسلام الراديكالي."

التصوف في التقرير:

يمثل نموذجًا مناسبًا للإسلام المعتدل، لأسباب منها:

- تركيزه على البعد الروحي والأخلاقي، لا السياسي.
- ميوله إلى السلام والابتعاد عن العنف والصراع السياسي.
- تقديس الأولياء والتقاليد، ما يجعله أقرب إلى السلطة ومستقرًا في الهياكل التقليدية.

التوصيات بشأن التصوف:

- دعم المدارس الصوفية والزوايا التقليدية.
- تمويل النشاطات الثقافية الصوفية كالموالد والإنشاد.
- إبراز الشخصيات الصوفية في الإعلام والمنتديات الدينية.
- ربط الصوفية بالشبكات الأكاديمية والسياسية الغربية.

الغاية الاستراتيجية:

خلق توازن ديني عالمي يميل نحو تيارات إسلامية "مهادنة "للغرب، عبر تمكين الصوفية وأشباهها لتكون في الواجهة الدينية بدل الحركات السلفية أو الجهادية أو الحركية.

خلاصة نقدية:

التقرير يعكس رؤية أمنية نفعية تعتبر التصوف أداة لإضعاف الاتجاهات الدينية الرافضة للهيمنة الغربية، لا باعتباره خيارًا دينيًا أصيلاً.

هذا يدفع إلى تسييس التصوف وفصله عن مقاصده الشرعية الأصيلة.

مؤتمر أديان العالم (World Parliament of Religions) :

أطلق أول مرة في شيكاغو 1893م، وأعيد إحياؤه في التسعينيات كمؤتمر دوري عالمي يجمع ممثلين عن الأديان الكبرى، ويُعدّ من أقدم وأشهر مؤتمرات الحوار الديني.

حظي متصوفة من الطرق الشاذلية والمولوية والقادرية بفرص للحديث والتعبير عن رؤيتهم للإسلام.

يُستضاف بشكل متكرر الشيخ حمزة يوسف، ناصر الدين الألباني الهندي، الحبيب الجفري، وعلي الجفري وغيرهم لتمثيل الإسلام في هذا الإطار.

الموسيقى الصوفية والإنشاد حاضرة في الجلسات الثقافية، بوصفها تجسيدًا للتسامح والروحانية.

الرؤية المقدَّمة عن التصوف:

أنه إسلام "لا سياسي"، مسالم، لا يعادي الغرب، ولا يعترض على التعدد الديني.

أنه شبيه بالبَعد التأملي في البوذية أو التصوف المسيحي، ما يسهّل تقديمه كجزء من "الديانات المتصالحة."

الهدف الغربي غير المعلن:

- استخدام التصوف لخلق تمثيل ديني "مُؤمْنَن "ومحايد سياسيًا للإسلام في المحافل العالمية.
- تقليص الحضور السلفي والحركي والجهادي، بحجة أن التصوف هو الممثل المقبول "عالميًا."

أمثلة على فعاليات مشابهة دعمت التصوف:

ملامح دعم التصوف	المؤتمر	السنة
مشاركة وفود صوفية، وندوات عن ابن عربي والرومي	Parliament of the World's Religions – برشلونة	**2004**
حضور صوفي بارز، ترويج للتصوف التركي	مؤتمر الأمم المتحدة لتحالف الحضارات - إسطنبول	**2009**
دعوة شخصيات صوفية كرموز "سلام إسلامي"	منتدى دافوس - سويسرا	**2014**
مشاركة المتصوف طارق السعدي، وإنشاد صوفي مباشر	مؤتمر الأديان في قازان (روسيا)	**2021**
الحبيب علي الجفري يمثل الإسلام في الجلسة الافتتاحية	الملتقى العالمي للأخوة الإنسانية	**2023**

تحليل ومراجعة ورؤية

يطلق على التصوف أحيانًا في الدراسات الغربية أو لدى بعض الأنظمة والمراكز السياسية اسم "الإسلام الناعم" (Soft Islam) أو "البديل الآمن" (Safe Alternative) لعدة أسباب، تتصل بطبيعة الخطاب الصوفي، وموقفه من الجهاد والسياسة، ومرونته في التعامل مع الأنظمة والغرب.

أبرز الأسباب التي جعلت هذا التوصيف شائعًا:

أولًا: الطبيعة الخاضعة والخطاب الروحي:

التركيز على الجانب الروحي والابتعاد عن الصراع السياسي والعسكري، جعل التصوف يبدو "آمنًا "للأنظمة الغربية والعلمانية.

رفض الصوفية للجهاد القتالي في الأزمنة المعاصرة، أو تحجيمهم له وتحويله إلى جهاد النفس فقط، يتماشى مع مصالح الأنظمة التي تخشى الحركات المسلحة.

الخطاب الأخلاقي العالمي عند المتصوفة، والذي يتحدث عن المحبة والسلام والقبول، يُسوّق كمقابل "ناعم "لخطاب الحركات الإسلامية ذات الطابع الجهادي أو السياسي.

ثانيًا: القابلية للتطويع السياسي:

عدم معارضة الحكم الجبري أو الطغيان السياسي، بل أحيانًا مداهنته بزعم أن الصبر على الحاكم أولى، يجعل التصوف مطيعًا للأنظمة.

سهولة احتوائه وتمويله، حيث لا يحمل مشروعًا ثوريًا أو تغييريًا، بل يركز على الزوايا والمدائح والطقوس.

تاريخه في التعايش مع الاستعمار أو السلطان الجائر، كما حصل مع بعض الطرق الصوفية زمن الاحتلال الفرنسي والبريطاني.

ثالثًا: الخصومة مع السلفية:

يُنظر إلى التصوف كـ"مُعادٍ طبيعي" للسلفية أو الحركات الجهادية، لذلك يُدعم ضمن استراتيجية "فرق تسد."

في تقرير راند الشهير(RAND 2007) ، دعت المؤسسة الأميركية صراحة إلى دعم الصوفية كـ"مواجهة فكرية داخلية" للإسلام السني السلفي.

رابعًا: مظاهره الثقافية المقبولة عالميًا:

الصوفية تنتج موسيقى وأشعارًا ومهرجانات روحية، يسهل دمجها في السياقات الثقافية والفنية العالمية.

لذلك ترى دعمًا واضحًا من اليونسكو ووزارات الثقافة العالمية، مثل تسجيل الإنشاد الصوفي والمولوية ضمن التراث اللامادي للبشرية.

خامسًا: غياب الشريعة والسياسة

التصوف في صيغته المعاصرة غالبًا لا يهتم بتطبيق الشريعة أو إقامة دولة إسلامية، مما يجعله في نظر الغرب "إسلامًا منزوع الأنياب."

لا يحمل في جوهره مطالب تغيير اجتماعي أو مقاومة للطغيان، بل يركّز على الخلوة والذكر والسلوك الفردي.

خلاصة الوصف:

التصوف يُوصف بالإسلام الناعم لأنه لا يشكّل تهديدًا سياسيًا أو عسكريًا، بل يُروّج له كإسلام خالص للعبادة والسلوك الفردي، قابل للتعايش مع الأنظمة الغربية والعلمنة الحديثة، ويمكن توظيفه ضد خصوم تلك الأنظمة.